



لحظة الصفر بين المجاهدين والنظام

منذ عام 1980 / 7 / 7 أعلنت السلطة السورية القرار رقم 49 والذي يحكم بالإعدام على من ينتمي لتنظيم الإخوان المسلمين وشعر عناصر الإخوان جميعاً أنهم مواجهة أمام الإعدام بدون مهلة لحل التنظيم (السري طبعاً) وحتى بدون عفو عما سبق، وكان القتال والتسلح والدفاع عن النفس هو الأكثر فرصة للبقاء كما أنه كان عاملاً منهياً للتردد في مقاتلة النظام، فقررت القيادة أن تقف بشجاعة أمام القرار وتحمل مسؤولياتها في ذلك، علماً أن المواجهة مع تنظيم الطليعة الذي أسسه الشيخ مروان حديد كانت مستمرة.

فتحت الحكومة العراقية معسكرات التدريب للإخوان والطليعة في معسكر التاجي في العراق، كما بدأت تدريب اللاجئين البغداديين (على قلتهم) في معسكر آخر.

طلب الإخوان من طه ياسين رمضان (عضو مجلس قيادة الثورة في العراق ومسؤول الاتصال) أن يدخل عناصر شابة من الإخوان في الكلية الحربية فرفض الطلب، وكان الإخوان يدركون مشكلة عدم وجود عناصر عسكرية تابعة لهم بالجيش

السوري طوال التاريخ، (وبتذليل مقصود من خصومهم المستعمررين والطائفيين والعلمانيين المعادين)، كما أن الإخوان يريدون بناء الكادر العسكري الأول للتدريب الذاتي، وبناء جيش ذي رتب عسكرية في الخارج ليكون نواة لجيش جديد في الداخل بعد ذلك، لكن الحكومة العراقية أحضرت فقط باباً لتدريب الإسلاميين في المعسكر، بينما كان أحد مساعدي الصدف الهاجرين من الجيش السوري يعمل مدرباً في المعسكر وقد خرج هذا التدريب مدربين آخرين وألاف المدربين، وكانت مدة التدريب أقل من شهر وكان تدريباً قاسياً، حيث يعود بعدها العناصر لأعمالهم في دول الإقامة بانتظار ما سمي بالجسم حيث لحظة الصدف.

وقد أعطى النظام العراقي وقت بث إذاعي مقسم بين الإخوان والبعثيين.

نزل المهندس خالد الشامي (وكتبت أعلم أنه صوفياً مفتوحاً) إلى السعودية أواخر عام 1981 (وكان خالد هو المسؤول عن التنسيق بين التنظيم العسكري الموالي للثورة على النظام، وتنظيم الإخوان بعد أن توحد مع الطليعة قبل الـ 82 بقليل بقيادة القائد عمر جواد).

وحدد خالد مع القيادة والمراقب العام الدكتور حسن هويدى لحظة الصدف، وهي بعد ستة أشهر من تاريخ اللقاء والتي رأها الدكتور حسن بأنها ضرورية لتجديد اللياقة البدنية لمن تربوا سابقاً، وكانت الخطوة بأن يعلن الحركة باسم حركة تصحيحة جديدة، من قبل قائد الانقلاب العميد تيسير لطفي ومجموعته العسكرية، وكان من المتوقع انضمام الكثير من عناصر الجيش بعد أن تعلن الحركة.

وكان عدد الأفراد الحلبين المدنيين الهاجرين في الدول المحيطة جيداً لأن قواعدهم كشفت، واستشهد قسم منهم بينما غادر الباقون للأردن والعراق للإقامة (ويبدو أن أهل دير الزور قد غادر معظمهم للعراق القريب كذلك) وكذلك من شباب إخوان حمص، وقد تدرب الجميع في المعسكرات وجلسوا فيها أو في بيوت جماعية في الأردن والعراق ينتظرون المهام أو لحظة الجسم.

وصل خالد الشامي لسوريا، وما هي إلا أيام وتم استدعاؤه للأمن فذهب للأمن مطمئناً بسبب علاقته بضباط الأمن الكبار (والذين كان يهديهم البدلات الغالية من السوق الحرة)، ثم حرقوا معه وتركوه ليقينهم بأنه ليس المعني، لكنهم عادوا لاعتقاله عندما قالت الجهة الواشية إنه هو المعني تماماً (وسيأتي اليوم الذي استطاع به ذكر سر الانكشاف فعندئي تفصيله من عضو داخل القيادة القطرية)، ثم ظهر خالد الشامي على شاشة التلفزيون يقول: بأنه هو مسؤول الإتصال وبأنه يوجد تنظيم عسكري وأنه يوجد في حماه قوه شعبيه مقاتله وهي تعادل لواء عسكري ينقصها السلاح (هذا الكلام فيه مبالغة ومطلوب منه قوله من السلطة) لكنها ستحصل على السلاح الكافي من الانقلابيين.

وفهمت السلطة أنه توجد أربع قوى مسلحة

1 - القوى في الجيش السوري

2 - تنظيم الإخوان والطليعة (الموحد) داخل سوريا

3 - وقوة الإخوان والطليعة المتربون بالخارج

4 - قوة البعثيين السوريين المقيمين في العراق

5 - بالإضافة للقوى المتوقعة انضمماها عند إعلان المعركة (لله والتاريخ أنتي قد التقيت صدفة بالأخت هشام جنباز مسؤول الطليعة مرة وسألني ما رأيك بما يحصل فقلت له إنكم ستتسببون ببركة كبيرة من الدم دون أن تسقطوا السلطة، وقد قلت هذا لأنني لم أكن أعلم أنه يوجد هناك تنظيم عسكري في الجيش أو أنه كان لم يتشكل بعد (لأن الجيش يحتاج رؤية الثبات النضالي في الشارع لينضم لأي ثوره).

و هنا قررت السلطة الهجوم ودفعت خالد للقول بوجود القوة مقابل الحفاظ على حياته (وقد اعتقل مدة عشرون عاماً تقريباً

وقع التنظيم العسكري بкамله في قبضة السلطة فكسر أحد أجنحتي الصقر وضررت بهذا الإستراتيجية الموضوعة، (ذلك أن حرب العصابات لا تستطيع التحول لواجهة الجيش النظامي وليس لديها الجبال والغابات).

ولم يكن هذا فقط بل وبدأ الضغط على حماه لكسر الجناح الثاني:

كان الناس يجتمعون في الساحات العامة ليرفعوا أرجلهم جمِيعاً مرة واحدة ولينتظروا الضرب وليرقص مسُوهم والتغتيش العنيف على الهوية في الشوارع الرئيسية والأزقة الضيقة والكمائن المفاجئة، والزج بالسجون بدون مبرر، كما دعيت عناصر الأمن من مدينة حمص لحماء للمشاركة في الضغط، وكانت عناصر التنظيم تتخذ من البيوت قواعداً عبر مخابئ أتقنوها ومشافي تحت الأرض عملوها.. وكان استعمال اللاسلكي مشكلة في حال الثبات لأنَّه سيكشف مكان الاتصال عبر راشدات الجيش السوري، وكان الاتصال مع الخارج عبر مراسل فقط.

وأخذت الدولة راحتها بسبب عدم تمكن المجاهدين من حماية السكان وأصبح الضغط لا يطاق، واكتشفت السلطة مركز قيادة المجاهدين في حي البارودية وطوقته، ثم هبَّت بعض المجموعات لكسر الطوق عن القيادة، وهبَّت السلطة لنجدة نفسها وانفجرت الأوضاع، و مباشرة بدأت السلطة عبر اللواء 47 (المتمرد) جانب حماه دائمأً لحماية السلطة) بتصفيف جميع مآذن المساجد الساعة الثامنة والنصف صباحاً كأول إجراء عسكري ضمن إحداثيات مدروسة مسبقاً على ما يبدوا، وسيطر المجاهدون (كما كان يسميهم أهل حماه) على المدينة ولم يعلموا إمارة إسلامية كما يدعى الكاذبون من أزلام النظام، بل أعلنوا إسقاط حكم الفساد الديكتاتوري السلطوي الطائفي الأمني الأسدية وهذه هي فقط كانت شعارات كل من كان ضد النظام وقتها.

وتصدى المجاهدون لعملية شق المدينة نصفين باللواء 47 لترتع عناصر الجيوش الطائفية في الشوارع والأزقة التي توهتهم فاستعملوا الحبال الطويلة كما في نزلة سوق الشجرة.

وكانت الجيوش كلها في الجريمة (سرايا الدفاع وسرايا الصراع والوحدات الخاصة وفتیان علي - التركية من إسكندرونة - وقد نشرت هوية مقتول من الفتیان في مجلة النذير) وبدأ القتل العشوائي بلا عقل ولا رحمة ولا اعتبار لأخوة الوطن، وقتل الجميع عدا المشايخ بدون طلب هوية أو بمعرفة اسم المستهدفين وبجميع الأسلحة وبمعدل يومي مدروس، (فقد وجه جندي من الوحدات البندقية لقتل شاب قرب حي العصيدة وجاءه الاتصال اللاسلكي للجندي وقتها بأن القتل قد بلغ حده المطلوب اليوم فقال للحموي روح حظك كبير(ويبدو أنه كان بمعدل حوالي ألف إلى ألفين يومياً، وهي 1500 يومياً على قول رفعت أسد) وكان حافظ الأسد على علم بالقتل، فحين قتل صفوان فخري وأخيه في حي سوق الشجرة في اليوم الثالث للغزو ذهب قربهم العميد وليد حمدون عضو القيادة القطرية وأبلغ حافظ الأسد بأن القتل عشوائي ولا يميز فأظهر حافظ مفاجأته الكاذبة (كابنه بشار) لكن القتل استمر رغم علم الرئيس، وبالأحرى لقد بدأ واستمر بإدارة الرئيس نفسه وبطولة أخيه المجرم رفعت (يروي عبد المسيح ليون من منطقة وادي النصارى أنه اجتمع مع رفعت الأسد قبل المجازرة بأيام وأنه حدثه بما سيفعل في حماه وقال عبد المسيح: لقد نفذ بالفعل تماماً كل ما قاله) ومما يثبت مسؤولية حافظ الأسد أن الجيوش العسكرية الطائفية وكذلك الجيش النظامي ترتبط به مباشرة ولا تلتقي إلا عنده.

وفي الخارج دُعي الإخوان للنفير الطارئ وحضر بين ألف وألفي متظوع عبر الأردن للعراق برأ (العدم وجود طيران عراقي مدني مباشر) وبدأت إعادة التدريب للإيقاع، كما اشتروا عدداً كبيراً من سيارات الجيمس من الكويت بمساعدة أبو بدر المطوع (مسؤول الإخوان في الكويت) وجماعته لتحمل المقاتلين للداخل وعلى أن يتوجه الإسلاميون (الإخوان وغيرهم من الجبهة الإسلامية) إلى المناطق الشرقية ويتجه البعثيون لحلب ولمرتكز الإذاعة فيها، وما أدرى عددهم إلا أنَّي أحسبهم لا يتعدوا 300 شخص وليس لهم في الداخل قواعد مثل الإخوان (وكانوا لاجئين سياسيين في العراق ولهم التكريم المفضل

عند السلطة)، فهل كانوا سيفاً! أم هم بعيون سوريون كما نعرفهم في الجولان!)

وبسبب الوقت الذي استغرقه وصول العناصر الإسلامية السورية المتحمسة لتحرير بلادها من كل دول العالم والإعداد والتدريب (وبالإضافة لعدم توفر الاتصال الهاتفي الذي قطعه الحكومة عن حماه أو حتى بديل عنه من أجهزه لاسلكي) فلم يكن من الممكن نزول المتطوعين الذين جمعهم النفير لعدم توفر وضوح الرؤية، وبالفعل فقد فقد المقاتلون السيطرة على البلد خلال فترة التجمع والإعداد، وكان القتل مذهلاً لذا كان نزول المتطوعين مغامرة ستؤدي للمزيد من الخسائر في معركة مجهولة ولحظة صفر حدها النظام، وكان القهر والحماس والتور والحيرة والقلق هم أسياد الموقف ولذا تقرر فض النفير بعد وصول معلومات جمعتها أنا من السائقين... (وبيدوا أن حكومة العراق لم تكن مستعدة كذلك لتفطية المقاتلين بالطيران والدخول في حرب بينما حربها مستمرة مع إيران، واقتصرت قصف القوات المطوقة للمدينة بالهاون).

وقد تبين أن أمريكا كانت تراقب الوضع بالأقمار الصناعية لكن وجود النظام كان أفضل من أي أحد آخر.

وجع المتطوعين للعمل بدولهم بالخارج وهم في قهر شديد.

ولا بد أن أشير هنا إلى أن عدم وجود معاishi لحرب العصابات كان له الأثر الأكبر على مسار الصراع، وكان الشيخ مروان حديد يعلم أن الاغتيالات وحدها لا تسقط النظام، لكن العناصر المقاتلة تبدأ بالانضمام بأعداد كبيرة من خلال العمل الثوري، لتشكل مجموعات كبيرة تثبت بالشارع وتستميل الجيش لينضم بدياباته وطيرانه ليكونان قوة مشتركة.

بل وعندما بدأ الإخوان مناقشات التسلح وكلفوا الأخ الفائد المقدّر والشجاع عمر مرقة رجوتة بأن يبدأ بتنظيم كبير يهز سورية فقال هذه هي خطتنا وهي البدء بـ(10000) مقاتل، وكانت قوة الاستخبارات وبطشهما تعيق الخطط النظرية المرسومة للطليعة والإخوان. وأعتذر لذكر القول والتفريق بين الطليعة والإخوان خلال كتابتي فعنابر الطليعة هم بالأصل عناصر إخوانية آمنت بالكافح المسلح مبكراً وانضمت فردياً وسراً وبدون إذن تنظيم الإخوان. وإظهار التداخل بين الإخوان والطليعة فقد أرسل لي الأخ الشهيد عبد القادر فاعور (قبل إعدامه) من الزنزانة التي أوقف بها في سجن المزة رسالة مع الأخ خلدون مرقة قبل اعتذاراً لأنه كان منظماً عندي في حلقة أديرها، وكان في الوقت نفسه في تنظيم الطليعة، كما و كنت في رفقة الشيخ القائد الشيخ مروان حديد خلال تواريه في دمشق مدة سنتين مع أبي مختلف معه في طريق العلاج للواقع كما سترى في مقالاتي عنه.

تابع:

انتفاضة الثمانيات ومجازرة حماه (1) الأسباب

انتفاضة الثمانيات ومجازرة حماه (3) مخالفته المجزرة

المصادر: